مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الإنسانية، م ٣٢ ع ٢، ص ص: ٣٩ – ٧٢ (٢٠٢٤م)
DOI:10.4197/Art.32-2.2

حسن الختام في سورة الشعراء

ياسر بن حامد المطيري

أستاذ البلاغة والنقد المساعد بقسم اللغة العربية، كلية التربية، جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز، المملكة العربية السعودية

yh1131@hotmail.com

المستخلص. حسن الختام من فنون البديع وهو أحد المواطن التي حث البلاغيون على التأنق فيها لكونها آخر ما يطرق أذن السامع، غير أن تفصيل القول فيما ينبغي أن تكون عليه الخاتمة لتكون حسنةً وعن علاقتها بما قبلها لم يبسطه البلاغيون، وفي كلامهم شيءٌ من الإجمال، فهو ما يزال بحاجةٍ إلى دراسةٍ تستخرج أبرز معالمه التي يحسن أن يترسَّمها البليغ في خاتمة كلامه، وأحسن ما يكون ذلك هو بدراسة الخاتمة في أفصح كلامٍ وهو كلام الله تعالى، مع دراسةِ سورةٍ لكونها تمثِّل وحدةً موضوعيةً مستقلةً لها أولٌ وآخر، وهذا ما سرت عليه في هذا البحث.

الكلمات المفتاحية: حسن، ختام، براعة، الشعراء.

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فإن من أعظم جوانب الإعجاز في كتاب الله: الإعجازَ البياني، فما يزال معينًا لا ينضب يتخذه البلغاء إمامًا يستلهمون منه جمال الألفاظ وجلال المعاني، مع ما اشتمل عليه من أساليب بديعة، وحجج قاهرة، وردودٍ مفحمة، ووعظٍ يؤثِّرُ في القلب ويَستدِرُّ الدمع، يهتدي به طالبُ الهُدَى، ويَزداد به المهتدِي هُدَى.

ومن الجوانب التي يتشوف إليها المتطلع إلى بلاغة القرآن: خواتم السور، فإن البلاغيين جعلوا الخاتمة من مواطن التأنق في الكلام لكونها آخر ما يطرق أذن السامع، وإن التالي المتدبر لكتاب الله ليلحظ

خصوصيةً للخواتم تُغايرُ فيها الفواتح والموضوع، ولا يتبين هذا على وجه التفصيل إلا بدراسةٍ مفصَّلةٍ لخاتمة إحدى السور، ويمكن بعد ذلك إتباعها بدراساتٍ للسور الأخرى ثم ملاحظة فروق الخواتم بين السور كلها وهل سارت على منهج واحد أو كان بينها تغايرٌ؟ وبذلك يُثرى البحث البلاغي ويُقَوَّم.

وقد خصصت هذه الدراسة بالسورة الكريمة (سورة الشعراء)، وسيكون محل البحث عن حسن الختام في السورة، مع دراسة نظمها مستحضَرًا فيه وروده في الخاتمة، فهذا هو هدف البحث، ثم أحاول بعد ذلك استخراج بعض النتائج التي تصلح أن تكون علامات وصوى يَستدِل بها الكاتب والمتكلم لِيُحسِنَ خاتمةَ كلامه، وليكون تفصيلًا وتطبيقًا لما أجمله البلاغيون من العناية بالخاتمة.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره

١- تعلقه بكتاب الله المعجِز الذي لا يسمو إليه بيان، والذي هو الأحق بأن تُرسم من خلاله فنون القول وقواعد البلاغة.

٢- للبلاغيين احتفاءٌ بالخاتمة يظهر من خلال أقوالهم الآتي ذكرها، ومن خلال الفنون البديعية المتصلة بها، إلا أنَّ تقريراتهم فيها قدرٌ من الإجمال غير كافٍ لطالب بلاغة هذا الجزء من الكلام، كبيان حدِّ الخاتمة وكيفية تمييزها عما قبلها، وما ينبغي أن تشتمل عليه، وكيف تكون مؤذنةً بانتهاء الكلام؟ وهل الخاتمة مجرد تلخيصٍ وإجمالٍ لما تقدمها؟ وهل لخاتمة السورة القرآنية خصوصيةٌ بيِّنَةٌ تُغاير فيها مضمونَ السورةِ وفاتحتَها؟ كلُّ ذلك وغيرُه لا بد له من دراسة تفصيلية تطبيقية، فالعلم يكمن في التفاصيل.

٣- قال ابن أبي الإصبع وغيره: "وجميع خواتم السور الفرقانية في غاية الحسن ونهاية الكمال.. التي لا يبقى في النفوس بعدها تطلع ولا تشوف إلى ما يقال"(١)، ولم يبيِّن وجه كونها كذلك، فكانت هذه الدراسة محاولةً للإجابة عن خاتمة إحدى السور الكريمة.

منهج البحث

يتبع البحث المنهج الوصفي التحليلي، وذلك ببيان مقصد السورة وانتقالات موضوعاتها ومناسباتها ثم تحليل الخاتمة في ضوء ذلك بدراسة نظمها دراسةً مفصلةً مراعًى فيها كونها في الخاتمة، ثم يكون الوقوف مع ارتباط آي السورة ببعضها لتكون وحدةً واحدةً متلاحمة الأجزاء.

وقد حرصت أن أجعل تلاوة السورة وتدبرها هو المصدر الأول المحرِّك للدراسة، ثم تأتي بعد ذلك

---

(١) ابن أبي الإصبع، تحرير التحبير (٦٢٠). وينظر: القزويني، الإيضاح (٣٤٣).

مراجعة المصادر الأخرى والإفادة منها.

الدراسات السابقة

لم أقف على دراسة مختصة بحسن الختام في سورة الشعراء، بل لم أقف على دراسةٍ مختصة بهذا الموضوع في أي سورةٍ أخرى، ولكن هناك بعض الدراسات ذات الصلة منها:

– سورة الشعراء دراسة بلاغية تحليلية (إعداد فوزية بنت مسفر المطيري– رسالة ماجستير– جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية– ١٤٢٥هـ)، وقد استعرضت الباحثة فنون البلاغة من خلال السورة وكان نصيب (حسن الختام) ثلاث صفحات فقط، انتُقِيت فيها بعضُ الآيات، وترك غالب الموضوع فكان من المهم تخصيصه بالدراسة.

– خواتيم السور في القرآن الكريم (أ.د. أحمد الربيعي– بحث منشور في مجلة كلية التربية بالجامعة المستنصرية بالعراق) وقد استغرق البحث خمس صفحات فقط، وظاهرٌ أنه عنوانٌ كبيرٌ لا يتناسب مع حجم البحث فضلًا عن مضمونه، ولذلك انتقى الباحث بعض السور وذكر أن خاتمتها مشتملةٌ على دعاء أو على خطاب للناس كلهم أو خطاب خاص بالنبي ﷺ ونحو ذلك.

– بلاغة السياق في خواتيم سورة النحل (إعداد د. بلقيس بنت محمد الطيب إدريس– من منشورات ندوة الدراسات البلاغية الواقع والمأمول– جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض– ١٤٣٢هـ)، فهذه الدراسة مختصة بالسياق كما صرحت الباحثة بذلك في المقدمة وكما هو ظاهر في خطة البحث فجميع أبوابه متعلقة بالسياق وأثره، لا بالخاتمة.

– في التذوق الجمالي للآيات الثلاثين من خواتيم سورة البقرة مع تركيز "الإضاءة" على آيات الربا في النسق القرآني الكريم (د. محمد علي أبو حمدة– مكتبة الأقصى– الأردن– الطبعة الأولى ١٤١٠هـ)، وقد تصفحت الكتاب فوجدته دراسةً بلاغية لهذه الآيات من غير عنايةٍ بكونها في الخاتمة، فالخاتمة لا علاقة لها بالبحث إلا من جهة أن الآيات المختارة جاءت في خاتمة السورة.

خطة البحث

ستكون خطة البحث مكونة من مبحثين وخمسة مطالب وخاتمة وذلك على النحو التالي:

– المبحث الأول: الدراسة النظرية، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أهمية حسن الختام عند البلاغيين.

المطلب الثاني: حد الخواتم في السور القرآنية.

- المبحث الثاني: الدراسة التطبيقية، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اسم السورة ومقصدها وموضوعاتها.

المطلب الثاني: جماليات النظم في خواتيم سورة الشعراء.

المطلب الثالث: الصلة بين الخاتمة وما قبلها.

- الخاتمة وفيها: النتائج والتوصيات.

أسأل الله الإعانة والتوفيق، لا حول ولا قوة إلا به.

المبحث الأول: الدراسة النظرية

المطلب الأول: أهمية حسن الختام عند البلاغيين

عني البلاغيون بالخاتمة وأهمية تجويدها والتأنق فيها ولهم في ذلك عدة تسميات مثل: (الانتهاء)[١]، و(حسن الخاتمة)[٢]، و(حسن المقطع)[٣]، وغيرها، ومما يبين أهميتها ما نقله الجاحظ عن شبيب بن شيبة أنه قال: "الناس مُوَكَّلون بتفضيلِ جودةِ الابتداء وبمدح صاحبه، وأنا موكَّلٌ بتفضيلِ جودةِ القطع وبمدح صاحبه"[٤].

وقال القاضي الجرجاني: "والشاعر الحاذق يجتهد في تحسين الاستهلال والتخلص، وبعدهما الخاتمة"[٥].

وقال القزويني: "ينبغي للمتكلم أن يتأنق في ثلاثة مواضع من كلامه؛ حتى تكون أعذبَ لفظًا، وأحسنَ سبكًا، وأصحَّ معنى: الأول: الابتداء.. الثاني: التخلص.. الثالث: الانتهاء؛ لأنه آخر ما يعيه السمع ويرتسم في النفس، فإن كان مختارًا كما وصفنا جَبَر ما عساه وقع فيما قبله مِن التقصير، وإن كان غير مختار

---

(١) ابن رشيق، العمدة (٢٣٩/١)، التلخيص وشروحه (٥٤٣/٤).

(٢) ابن أبي الإصبع، تحرير التحبير (٦١٦).

(٣) مقدمة تفسير ابن النقيب (٢٨٨).

(٤) الجاحظ، البيان والتبين (١١١/١).

(٥) الجرجاني، الوساطة (٤٨).

كان بخلاف ذلك، وربما أنسى محاسن ما قبله"[١].

وقوله: (يتأنق) أي: يطلب الأَنِيقَ وهو الحسَنُ المُعجِب[٢].

وعبر القزويني بأفعل التفضيل (أعذب وأحسن وأصح)، فزيادة تحسين ذلك هو وجه إدخالها في البديع، وإلا فمجرد عذوبة اللفظ وحسن السبك وصحة المعنى من الحسن الذاتي فليست من البديع[٣].

وقال أيضًا: "وأحسن الانتهاءات ما آذن بانتهاء الكلام.. وجميع فواتح السور وخواتمها واردة على أحسن وجوه البلاغة وأكملها، يظهر ذلك بالتأمل فيها مع التدبر لما تقدم من الأصول"[٤].

فجميع خواتم سور القرآن الكريم قد اشتملت على الذروة العليا من براعة الختام، بل ظهر ذلك أيضًا بين السور نفسها فقد افتتح المصحف بالفاتحة وأولها: (الحمد لله)، وختم بالمعوِّذتين، وذلك لأن الأمور كلها إما خيرٌ نحمد الله عليه وإما شَرٌّ نستعيذ بالله منه.

ولحسن الختام علاقة وثيقةٌ بـ(المناسبات) الذي يبحث في ارتباط الآي وعلاقة بعضها ببعض، فلا بد أن تكون الخاتمة مرتبطة بما قبلها، قال الزركشي: "وفائدة [معرفة المناسبات] جعل أجزاء الكلام بعضها آخذًا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء، وقد قل اعتناء المفسرين بهذا النوع لدقته"[٥].

---

(١) القزويني، الإيضاح (٤٣٤).

(٢) الجوهري، الصحاح (أنق).

(٣) ابن يعقوب، مواهب الفتاح (٥٣٠/٤).

(٤) القزويني، الإيضاح (٤٣٤).

(٥) الزركشي، البرهان (٣٦/١).

ولعل لحسن الختام أيضًا صلةٌ بفن آخر في البديع وهو (رد الأعجاز على الصدور)[١]، وهو يجعل الكلام متجانسًا مترابطًا، قال البقاعي: "فإذا وصل الأمر إلى غايته، خُتِم بما منه كان ابتدأ"[٢].

المطلب الثاني: حد الخواتم في السور القرآنية

الخواتم في اللغة: جمع خاتمة، وهي آخر الشيء[٣].

وأما في الاصطلاح فليس هناك ضابطٌ محدَّدٌ بمقدارٍ أو أسلوبٍ يميِّز خاتمة السورة ولا فاتحتها أيضًا، وإنما هو ضابطٌ موضوعيٌّ يمكن التوصل إليه في كل سورةٍ بحسبها بعد دراستها ومعرفة مقصدها الأصلي الذي تدور حوله موضوعاتُها، فتكون المعاني هي الحاكمة في تمييز هذه الأجزاء بعضها عن بعض: الفاتحة والمضمون والخاتمة، ولذلك قد تكون الخاتمة في آيتين وقد تكون في صفحتين أو أقل من ذلك أو أكثر.

ويتنبه إلى أن هذه الطريقة يمكن تطبيقها على السور الطوال، أما قصار السور فالأمر فيها مختلف– ويمكن أن تخص بدراسة في ذلك– ولذلك قال أبو حيان: "وقد تتبعت أوائل السور **المطولة** فوجدتها يناسبها أواخرها، بحيث لا يكاد ينخرم منها شيء، وسأبين ذلك إن شاء الله في آخر كل سورة سورة، وذلك من أبدع الفصاحة، حيث يتلاقى آخر الكلام المفرط في الطول بأوله، وهي عادة للعرب في كثير من نظمهم، يكون أحدهم آخذًا في شيء، ثم يستطرد منه إلى شيء آخر، ثم إلى آخر، هكذا طويلا، ثم يعود إلى ما كان آخذا فيه أولا. ومن أمعن النظر في ذلك سهل عليه مناسبة ما يظهر ببادئ النظم أنه لا مناسبة له"[٤]، فقد أشار أبو حيان إلى طوال السور دون قصارها.

---

(١) وهو رد آخر الكلام على أوله، لكنه عند البلاغيين مختصٌّ بالآية أو بالفقرة أو بالبيت الشعري. ينظر: القزويني، الإيضاح (٣٩٠). أما المفسرون فلم يقيدوه بذلك فأدخلوا فيه أواخر السور وأوائلها؛ قال د. عبد المحسن العسكر: "فيكون في صنيع المفسرين هذا إضافة جيدة، ينبغي إضافتها إلى كتب البلاغيين". ينظر: السيوطي، مراصد المطالع (١٥) مقدمة المحقق، وقال د. محمد أبو موسى: "وهذا فنٌّ جديدٌ من فنون رد العجز على الصدر". آل رحم (غافر، فصلت) (المقدمة ج).

(٢) البقاعي، مصاعد النظر (١٤٩/١).

(٣) الجوهري، الصحاح (ختم).

(٤) أبو حيان، البحر المحيط (٧٥٥/٢).

المبحث الثاني: الدراسة التطبيقية

المطلب الأول: اسم السورة ومقصدها وموضوعاتها

اسم السورة التوقيفي: سورة الشعراء[١]، وهي سورةٌ مكيةٌ.

وأما مقصدها أو عمودها أو محورها فيستعان على معرفته بأمورٍ أهمُّها:

١- التأمل في المعنى الناظم لجميع آياتها، من فاتحتها إلى خاتمتها؛ فالاقتصار على بعض السورة مخلٌّ بمعرفة المقصود[٢]، "فعندما نريد أن نقدر جمال لوحةٍ مرسومةٍ لا ينبغي أن نحصر نظرتنا في جزء ضيق منها حيث لا نجد إلا ألوانًا تتجاور أو تتنافر أحيانًا، بل يجب أن نرجع قليلًا إلى الوراء، ليتسع مجال الرؤية وتحيط بالكل في نظرةٍ شاملة تستطيع وحدها أن تلاحظ التناسق بين الأجزاء والتوافق في التركيب. فبمثل هذه النظرة ينبغي دراسة كل سورةٍ من سور القرآن الكريم لنقدر أبعادها الحقيقية.. ولقد وضح لنا بما أثار دهشتنا أنَّ هناك تخطيطًا حقيقيًّا واضحًا ومحدَّدًا يتكون من ديباجة وموضوع وخاتمة.."[٣].

والتأمل في المعنى الكلي للسورة الجامع بين حلقاتها "هو من وجوه بلاغة القرآن غير المدروسة كما ينبغي؛ حركة المعنى داخل السورة، ومراقبة نموه وامتداده، وذهابه وارتداده"[٤]، وجعل الفراهيُّ بحثَ الأصول الكلية لنظام الكلام عمومًا ولنظام السورة خصوصًا فنًّا مستقلًّا من البلاغة، بل هو الذروة العليا منها[٥].

٢- ومعرفة اسم السورة؛ "فإنَّ اسم كل سورةٍ مترجمٌ عن مقصودها، لأنَّ اسمَ كلِّ شيء تَلحَظُ المناسبةَ بينه وبين مسمَّاه، عنوانُه الدَّالُّ إجمالًا على تفصيل ما فيه"[٦].

ورأى ابن الزبير الغرناطي أنَّ ذلك ليس بلازم، فقد تسمى السورة بلفظٍ لتكرره فيها، أو لتفصيل أحواله،

---

(١) أخرجه ابن مردويه عن ابن الزبير، والنحاس عن ابن عباس كما في الدر المنثور (٢٣٧/١١). وينظر: أسماء سور القرآن (٢٨٨).

(٢) ينظر: الشاطبي، الموافقات (٢٦٨/٤).

(٣) دراز، مدخل إلى القرآن الكريم (١١٩).

(٤) محمد أبو موسى، من أسرار التعبير القرآني (٢٦).

(٥) الفراهي، دلائل النظام (١١).

(٦) البقاعي، نظم الدرر (١٨/١)، مصاعد النظر (٢٠٩/١). وقال في مقدمة مصاعد النظر (٩٨/١): "فهذا كتابٌ سميته: مصاعد النظر، للإشراف على مقاصد السور، ويصلح أن يُسَمَّى: المقصد الأسمى في مطابقة اسم كل سورة للمسمى".

أو لندرته، أو غير ذلك، كما هي عادة العرب ومنازعهم في التسمية[١].

٣- وكونها مكيةً أو مدنية، فإنَّ غالب السور المكية تكون مقرِّرَةً لثلاثة أمور: التوحيد، والنبوة، والبعث[٢]، وفي السور المدنية يَرِد ذكرُ الأحكام أو الشرائع ويُتَطَرَّق للمنافقين من أصناف المكلفين، فيُراعى ذلك عند تتبع عمود السورة ومحورها.

٤- تدبر القصص الواردة في السورة، فإنَّ القصص في القرآن ليست مقصدًا في ذاتها بل لها مغزًى ومقصدٌ[٣]، وقد تتكرر القصة الواحدة وفي كل موضع يُذكر مِن أجزاءها ما يَخدم السياقَ الذي وردت فيه[٤]، والمقصود أن القصة مرشدةٌ إلى الغرض الكلي للسورة.

ومما يجدر التنبيه عليه أنَّ السور في ظهور مقاصدها ليست على درجة واحدة[٥]، فقِصَار المفصل ليست كالسور الطوال التي تُثَنَّى فيها المعاني، ولذلك يقع تفاوت من الباحثين في تعيينها، وهو مما يوجب شدة التَّحَرِّي واستنفاد الوسع في طلبه؛ فهذا الباب لا يحتمل النظرة العجلى بل لا بد من طول التأمل والتدبر، ونرجو من الله تعالى أن نكون بين الأجر والأجرين، ونسأل الله أن يعصمنا من أن نقول في كتابه ما ليس لنا به علم.

وننفذ من ذلك إلى ما نحن بصدده وهو سورة الشعراء، فقد قال البقاعي: "ومقصودُها أنَّ هذا الكتاب بَيِّنٌ في نفسه بإعجازه أنه مِن عند الله، مبيِّنٌ لكلِّ ملتبِس"[٦].

والذي يظهر بعد مراعاة الأصول السابقة وغيرها أنَّ مقصدها العام: (الهداية)؛ فهو ينتظمُ جميعَ

---

(١) ينظر: ابن الزبير، ملاك التأويل (١/١٧٤).

(٢) الشاطبي، الموافقات (٤/٢٧٠).

(٣) يقول الفراهي: "النظر في آيات السور لا يدع شكًّا في أن عمود الكلام ليس إلا الأمور الكلية التي لا تتعلق بوقتٍ وزمان..". دلائل النظام (٦٢).

(٤) قال البقاعي: "لا تجد قصة تتكرر وإن ظن ذلك من لم يمعن النظر، فما من قصة من القصص المتكررة في الظاهر إلا ولو سقطت أو قُدِّرَ إزالتها لنقص من الفائدة ما لا يحصل من غيرها". نظم الدرر (١٤/٤). وينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (١/٦٤).

(٥) ينظر: دراز، مدخل إلى القرآن الكريم (١٢١)، الفراهي، دلائل النظام (٧٣، ٧٧)، أبوموسى، آل رحم (غافر، فصلت) (١٤).

(٦) البقاعي، مصاعد النظر (٢/٣٢٦).

آياتِها، وتتدرَّجُ موضوعاتُها محقِّقَةً هذا المقصد، وذلك على النحو التالي:

١- التنويه بالقرآن - الذي **(يهدي للتي هي أقوم)**- والتعريضُ بالعجز عن معارضته.

٢- تسلية النبي ﷺ بأنك إنما عليك البلاغ فلا تهلك نفسك حرصًا على هدايتهم، فإنهم إنما أُتُوا من أنفسهم فهم يستهزئون بالوحي ويكذبونه ويعرضون عنه ومن كان هذا حاله فلا ينتفع بموعظة ولا يخضع لحجة.

وهذان الأمران يمثلان فاتحة السورة (الآيات ١- ٩).

٣- حرص الأنبياء على هداية أقوامهم وذلك بدعوتهم وجدالهم المكذبين، وفيها الصوارف عن الهداية، واستغرق ذلك الآيات (١٠- ١٩١).

٤- خاتمة السورة وفيها عودٌ إلى الحديث عن كتاب الهداية الذي افتتحت به السورة (القرآن الكريم)، وتهديدٌ للمكذبين به، وصفات الداعية، وردٌّ للشبهات، ثم ذكرُ الكهان والشعراء الذين يمثِّلون الذروة العليا - عند غالب الجمهور- من الجدل والتلبيس والترويج للباطل والتنفير من الحق والصد عن الهداية، وتتمثل الخاتمة في الآيات (١٩٢- ٢٢٧).

واسمُ السورةِ أيضًا مؤكِّدٌ على ذلك، فإنَّ مِن أعظم الصوارف عن الهداية هي الكلمة؛ كلمة الباطل التي تردَّ الحقَّ وتُثِيرُ حولَه الشُّبَه، وتزيِّن الباطل وتزخرفه، والشعراءُ هم سادةُ البيان الذين فاقوا غيرهم في فن القول والتأثير به، فكلُّ ما ورد في السورة من أقوالٍ تعارض دعوة الأنبياء فإنها تقتفي أثر غالب الشعر وهو المبنيُّ على الكذب والمغالطات والأخيلة التي تنفذ إلى النفس وتقلب الحق باطلًا والباطل حقًّا، وتشبه السحر في تأثيره الخفي، فتسميةُ السورة بهذا الاسم إشارةٌ إلى كلِّ توظيفٍ سيءٍ للكلمة.

ومما يدل على المقصد المذكور: الجمل المكررة في السورة عقب كل قصةٍ: "إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين (٨) وإن ربك لهو العزيز الرحيم (٩)"، [سورة الشعراء] فإنها تُذكر بعد ذكر حجج الأنبياء والمَثُلات التي حلت بمخالفيهم لعلهم يهتدون؛ قال الزمخشري: "ولأنَّ هذه القصص طُرِقت بها آذانٌ وُقْرٌ عن الإنصات للحق، وقلوبٌ غُلْفٌ عن تدبُّرِه، فكُوثِرت بالوعظ والتذكير، ورُوجعت بالترديد والتكرير، لعل ذلك يفتح أُذُنًا، أو يفتق ذهنًا، أو يصقل عقلًا طال عهده بالصَّقل، أو يجلو فهمًا قد غَطَّى عليه تراكمُ الصدأ"(١).

(١) الزمخشري، الكشاف (٣/٣٣٤).

المطلب الثاني: جماليات النظم في خواتيم سورة الشعراء

تبدأ الخاتمة بقوله تعالى: "وإنه لتنزيل رب العالمين (١٩٢)" ففيها عود إلى ما افتتحت به السورة من ذكر القرآن الكريم، وبين الفاتحة والخاتمة جاء ذكر حالِ الأنبياء مع أقوامهم ودعوتِهم وحرصِهم على هدايتهم، وذلك بدلالتهم إلى الحق بالحجج والبراهين وترغيبهم وترهيبهم ودفع شبهاتهم، واستغرق ذلك أكثر السورة؛ فورد ذكر سبعة من الأنبياء وهم موسى وإبراهيم ونوح وهود وصالح ولوط ثم ختموا بشعيب عليهم السلام وذكر جدالهم لأقوامهم، وبدأت بعد ذلك خاتمة السورة على نحوٍ بديعٍ هو خيرُ ختامٍ وأبلغه وأنسبه لما قبله، وذلك أنه ما من شريعةٍ أنزلها الله إلا وهي مشتملةٌ على ثلاثة أمور: **رسول، ورسالة، ومرسَل إليهم**، وعليها دارت الأخبار المتقدمة للأنبياء مع أقوامهم، فناسب خَتْمُ السورة بالحديث عنها في شريعتنا، ولذلك جاءت الخاتمة مشتملةً على هذه الأمور الثلاثة وهي الرسالة والمرسَل إليهم والرسول ثم لحقها أمرٌ رابع وهو ردٌّ لشبهةٍ من شبهات المشركين، وسأفصل في ذلك مبينًا بلاغة الخاتمة في ألفاظها ومعانيها:

الأمر الأول: الرسالة (التعريف بالقرآن الكريم)

"وإنه لتنزيل رب العالمين (١٩٢) نزل به الروح الأمين (١٩٣) على قلبك لتكون من المنذرين (١٩٤) بلسان عربي مبين (١٩٥) وإنه لفي زبر الأولين (١٩٦) أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل (١٩٧)"

"وإنه" أي: القرآن، وعاد الضمير إليه وإن لم يتقدم له ذكرٌ للعلم به لعلو شأنه حتى إنه حاضرٌ في الذهن؛ إذ السورة من افتتاحها حديثٌ عنه وعن الاهتداء به، فَذَكَر مِن شأنه ما يصلح أن يكون عنوانًا للتعريف به وذلك بذكر: مُنزِله، والنَّازِلِ به، والمنزَل عليه، واللغة التي نزل بها: وإنه لتنزيل رب العالمين (١٩٢) نزل به الروح الأمين (١٩٣) على قلبك لتكون من المنذرين (١٩٤) بلسان عربي مبين (١٩٥)".

أما مُنزِلُه فهو الله تعالى: "لتنزيل رب العالمين"، وقد أنزله منجَّمًا مفرَّقًا في ثلاث وعشرين سنةً ليقرأه ﷺ على الناس على مُكْثٍ ويكون أدعى لفهمه وتثبيت القلوب به ولذلك عبَّر بمصدر فعَّل وهو التفعيل الدال على أن "النزول على سبيل التدريج والتنجيم"(١)، وقد اطَّرد في القرآن التعبيرُ بهذه الصيغة عند الحديث عن القرآن، وأضيف التنزيل إلى "رب العالمين" فهو كتاب هدايةٍ عامٌّ أنزله المربي لجميع عباده بالتدبير وأصناف النعم، وقد أكدت هذه الجملة بـ "إنَّ ولام الابتداء لردِّ إنكار المنكرين.. وجيء بالمصدر المعبَّر به عن

(١) الزمخشري، الكشاف (٣١٤/٢).

المفعول مبالغةً"[١].

وأما النازل به فجبريل عليه السلام: "نزل به الروح الأمين"، وقد وُصِفَ بالأمانة لأنها أهم صفات الرسول، وفي ذكرها إشارةٌ إلى أن الرسالة محفوظةٌ وأنه عليه السلام قد أدَّاها كما سمعها من الرب تبارك وتعالى.

وأما المنزَل عليه فهو النبي ﷺ: "على قلبك لتكون من المنذرين"، ولما كان ﷺ نذيرًا كانت أولى مهمات النذارة الوعيُ بالرسالة المنذَر بها فلذلك قال: "على قلبك" ولم يقل: عليك، بل خَصَّ القلب بالذكر "لأنه محل الوعي والتثبيت، وليُعلَم أن المنزَل على قلبه ﷺ محفوظٌ لا يجوز عليه التبديل ولا التغيير"[٢]، و"**(على)** للاستعلاء المجازي؛ لأن النزول وصول من مكان عال فهو مقتض استقرار النازل على مكان"[٣].

وأما اللغة التي نزل بها فهي العربية: "بلسان عربي مبين"، إذ قد تكون الرسالةُ أعظم الرسالات ولكنَّ اللغة التي أُدِّيت بها لا تفي بجميع معانيها فلأجل ذلك اختيرت خير اللغات لخير الرسالات، ووصف اللسان العربي بـ "مبين" أي: واضح بيّنٌ وافٍ بالمقصود، وبذلك تم لكتاب الله تعالى كمال معانيه وألفاظه: "وإنه لكتاب عزيز (٤١) لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد (٤٢)" [سورة فصلت].

وبهذه الأمور الأربعة وهي كمالُ المنزِل وهو رب العالمين سبحانه وتعالى، وأمانة الرسول وهو جبريل عليه السلام، ووعيُ النذير وهو النبي ﷺ، وبيانُ اللغة وهي العربية =يطمئنُّ القلب ويسكن بأنَّ هذا هو الحق الذي لا عذر لأحدٍ في الإعراض عنه وعدم اتباعه.

ولما كانت رسالةُ النبي ﷺ قد سبقتها رسالاتٌ ذكر أنها قد بَشَّرت به فقال: "وإنه" أي: ذكر هذا القرآن والتنويه به "لفي زبر الأولين (١٩٦)" أي: في كتب الأمم السابقة، وقد جاء مصدقًا لها ومهيمنًا عليها كما قال: "وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقًا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنًا عليه" [سورة المائدة:٤٨]، وكذلك جاء التأكيد في هذه الجملة بـ(إنَّ) المشددة واللام المزحلقة ردًّا على المنكرِين.

بل إنَّ ذكر هذا القرآن يشهد به علماءُ بني إسرائيل –العدولُ منهم– لأنهم وجدوه في كتبهم، ولذلك قال: "أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل (١٩٧)"، وهو استفهام تقريريٌّ، ومعنى التقرير حَمْلُ

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٨٨/١٩).

(٢) أبو حيان، البحر المحيط (١٨٨/٨).

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٨٩/١٩).

المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمرٍ قد استقرَّ عنده.

والتعبير بالمصدر المؤول: "أن يعلمه" دون المصدر الصريح (عِلْمُ)، للدلالة على أنَّ هذا العلم مستمرٌّ وقت إنكار المشركين لكون القرآن من عند الله، فالتعبير به أقوى في الاحتجاج عليهم(١).

وفي الاستشهاد بعلماء بني إسرائيل إشارةٌ إلى ترابط رسالات الأنبياء ومنها رسالة موسى عليه السلام التي صُدِّرت السورةُ بذكرها.

الأمر الثاني: المرسَل إليهم، وفيه الحديث عن ثلاث موضوعات:

١- تعنت المشركين في التكذيب بالقرآن

"ولو نزلناه على بعض الأعجمين (١٩٨) فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين (١٩٩) كذلك سلكناه في قلوب المجرمين (٢٠٠) لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم (٢٠١)"

ذكر تعالى تعنُّت المشركين وإعراضهم عن الإيمان على كل حال فقال: "ولو نزلناه على بعض الأعجمين (١٩٨) فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين (١٩٩)" أي: ولو نزلنا القرآن على أعجمي لا يفقه من العربية شيئًا فقرأه عليهم لم يؤمنوا به، مع كون هذا لو حصل لكان خارقًا للعادة، لكنهم لعنادهم لا يؤمنون، وفي هذا تسلية للنبي ﷺ.

ولمَّا كان من العجيب استمرارُهم على التكذيب بالقرآن مع كل ما تقدم =ذكر تعالى أنه لا عجب لأن الكفر والتكذيب قد تمكَّن من قلوبهم فلا ينفذ إليها الإيمان عقوبةً لهم على الإعراض عن الحق، ولذلك قال: "كذلك" قال ابن عطية: "الإشارة بـ(ذلك) يرجع إلى ما يتحصل لسامع الآيات المتقدمة أنهم لا يؤمنون"(٢)، "سلكناه" الضمير يرجع إلى الشرك والكفر والتكذيب كما فسره بذلك ابن عباس وغيره(٣)، والمعنى: كما حتمنا على هؤلاء أنهم لا يؤمنون بهذا القرآن =سلكنا الشرك والكفر والتكذيب "في قلوب المجرمين" ولم يقل: في قلوبهم، فوضع الظاهر موضع المضمر لإفادة العموم، و"عَبَّر عن المشركين بـ(المجرمين) لأنَّ كفرهم بعد نزول القرآن إجرامٌ"(٤).

---

(١) المطعني، التفسير البلاغي للاستفهام (١١٦/٣).

(٢) ابن عطية، المحرر الوجيز (٢٤٤/٤).

(٣) ينظر: موسوعة التفسير بالمأثور (٣٨٦/١٦). ولم يذكر ابن جرير (٦٤٨/١٧) قولًا آخر في مرجع الضمير.

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٩٥/١٩).

وفي التعبير بـ(سلكناه) دون أدخلناه ونحوها دلالةٌ على النَّفَاذ والتمكن؛ قال ابن فارس: "السين والتاء والكاف أصلٌ يدل على نفوذ شيء في شيء" ومنه: سَلَكْتُ الخيطَ في الإبرة إذا أدخلتَها، وإذا كان هذا حالهم فإنهم لن يؤمنوا إلا إذا عاينوا العذاب وحينئذٍ لا ينفع الإيمان ولذلك قال: "لا يؤمنون به حتى يروا الاعذاب الأليم (٢٠١)".

٢- إنذار المشركين وتهديدهم

"فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون (٢٠٢) فيقولوا هل نحن منظرون (٢٠٣) أفبعذابنا يستعجلون (٢٠٤) أفرأيت إن متعناهم سنين (٢٠٥) ثم جاءهم ما كانوا يوعدون (٢٠٦) ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون (٢٠٧) وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون (٢٠٨) ذكرى وما كنا ظالمين (٢٠٩)".

ثم هددهم سبحانه بأن العذاب إذا جاء فإنه يأتيهم على حين غفلة فلا يشعرون به ولا يستعدون له: "فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون (٢٠٢)"، وقوله: "بغتة" و"وهم لا يشعرون" حالان والحال الثانية مؤكدةٌ للأولى؛ قال البقاعي: "ولما كان البغت الإتيان على غفلة، حقق ذلك نافيًا للتجوز بقوله: "وهم لا يشعرون""[١].

وإذا وقع فإنهم لا يُمهَلون حتى يؤمنوا: "فيقولوا هل نحن منظرون" استفهامٌ بمعنى التمني والتحسر والاستبعاد، والفاء في قوله: "فيأتيهم" وقوله: "فيقولوا" ليست للترتيب في الوجود وإنما للترتيب في الشدة، قال الزمخشري: "والمعنى: لا يؤمنون بالقرآن حتى تكون رؤيتهم للعذاب فما هو أشدُّ منها وهو لحوقه بهم مفاجأة، فما هو أشدّ منه وهو سؤالهم النظرة، ومثال ذلك أن تقول لمن تعظه: إن أسات مقتك الصالحون فمقتك الله، فإنك لا تقصد بهذا الترتيب أنّ مقت الله يوجد عقيب مقت الصالحين، وإنما قصدك إلى ترتيب شدّة الأمر على المسيء، وأنه يحصل له بسبب الإساءة مقت الصالحين، فما هو أشدّ من مقتهم وهو مقت الله"[٢].

وقُدِّم المسند إليه "نحن" لأهميته، فعند نزول العذاب يذهلون إلا عن أنفسهم ويطلبون النجاة لها.

قال مقاتل بن سليمان: "فلما أوعدهم النبيُّ ﷺ العذابَ قالوا: فمتى هذا العذاب؟ تكذيبًا به"[٣]، فأنزل الله تعالى: "أفبعذابنا يستعجلون" والاستفهام فيه للإنكار والتوبيخ والتهكم، وتقديم الجار والمجرور "للإيذان

---

(١) البقاعي، نظم الدرر (١٠٢/١٤).

(٢) الزمخشري، الكشاف (٤٢٤/١١).

(٣) تفسير مقاتل (٢٨٠/٣).

بأنَّ مصبَّ الإنكار والتوبيخِ كونُ المستعجَل به عذابُه تعالى، مع ما فيه من رعاية الفواصل"[١]، وفي التعبير بنون العظمة (أفبعذابنا) تنبيهٌ على أنَّ قَدْرَ العذاب يفوق الوصف[٢].

"أفرأيت إن متعناهم سنين" الهمزة للاستفهام والمعنى: أخبرني، "والفاء لترتيب الاستخبار على قولهم: (هل نحن منظرون)، وما بينهما اعتراضٌ للتوبيخ والتبكيت"[٣]، وفي استعمال الرؤية في طلب الإخبار إشارة إلى أنه طلبٌ لخبرٍ متيقَّنٍ كأنه مستندٌ إلى رؤية، والخطاب في قوله: (أفرأيت) لكل من تتأتى منه الرؤية للدلالة على أن حالهم من الظهور بحيث لا يختص بها بعض المخاطبين.

ولا إشكال في التعبير بـ(إن) الدالة على الشك في وقوع شرطها، مع الفعل الماضي (متعناهم) الدال على تحقق الوقوع، إذ التمتيع مفترضٌ فالمعنى والله أعلم: أخبرني ماذا لو متعناهم سنين متطاولة، مع كون هذا التمتيع مشكوكًا في حصوله إذ قد يحل بهم العذاب قبل ذلك، لكنه تدرُّجٌ في وعظهم بأنه على افتراض أنه حصل وتحقق فإنه لا يغني عنهم شيئًا.

"ثم جاءهم ما كانوا يوعدون" : ثم: تدل على التراخي حيث أنظروا وأمهلوا قبل مجيء العذاب، ومن دقيق النظم اختلاف الإسناد في الفعلين: (متعناهم) و(جاءهم)، حيث أسند التمتيع إلى الرب سبحانه وتعالى دون المجيء –مع كون كل شيء بقدر الله– ففيه إشارة إلى أن التمتع لم يكن لهم لولا إمهال الله، وأن المجيء آتيهم لا محالة لسوء أعمالهم.

"ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون": ما: نافية، أو استفهامية بمعنى النفي، وهي حاصل طلب الرؤية المتقدمة، فكل راءٍ يعلم أنه مهما تمتع فإنه إذا هلك وعذب فإنه لا ينفعه أن كان في نعيمٍ وتمتع كما قال: "يود أحدهم لو يعمّر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمّر والله بصير بما يعملون".

"وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون (٢٠٨)": في هذه الآية قطعٌ للعذر عن جميع القرى بأنهم قد أنذروا، فـ(مِن) للتنصيص على العموم، وأكِّد هذا المعنى بطريق النفي والاستثناء، فمن كمال عدله سبحانه وتعالى أن لا يعذب قومًا إلا بعد إرسال الرسل وإقامة الحجج، ولذلك قال: "ذكرى وما كنا ظالمين (٢٠٩)".

---

(١) أبو السعود، إرشاد العقل السليم (٢٦٦/٦).

(٢) البقاعي، نظم الدرر (١٠٢/١٤).

(٣) أبو السعود، إرشاد العقل السليم (٢٦٦/٦).

٣- رد فرية وشبهة عن القرآن

"وما تنزلت به الشياطين (٢١٠) وما ينبغي لهم وما يستطيعون (٢١١) إنهم عن السمع لمعزولون (٢١٢)".

لما ذكر تعالى أنه الذي نزل القرآن فقال: "وإنه لتنزيل رب العالمين..."، ردَّ هنا على شبهة أثارها المشركون للتشكيك في مصدره؛ قال مقاتل بن سليمان: "قالت قريش: إنه يجيء بالقرآن الشيطان فيلقيه على لسان محمد، فكذبوه بما جاء به فأنزل الله عز وجل: "وما تنزلت به الشياطين..."[١]، وكونُه مِن إيحاء الشياطين كما يزعمون يعني أنه لا يخرج عن كونه شعرًا أو سحرًا أو كهانة أو أضغاث أحلام[٢].

وقد رَدَّ الله شبهتهم ونفى زعمهم بـ(ما) النافيةِ في ثلاث آياتٍ متتاليةٍ، وقد تَرَقَّى فيها النفيُ مِن الأدنى إلى الأعلى لِيُزيلَ كلَّ أثرٍ لهذا الزعم الكاذب:

فنُفِي أولًا نفيًا صريحًا: "وما تنزلت به الشياطين".

ولما كان عدم الوقوع لا يعني عدم الصلاحية له قال: "وما ينبغي لهم" أي: ما يصح وما يتصور منهم النزول بشيءٍ منه لأنه خيرٌ وبركةٌ، وهم مادة الشر والهلكة، فبينه وبين الشياطين منافاةٌ عظيمة.

ولما كان ذلك لا يعني عدم القدرة قال: "وما يستطيعون"، ثم علل عدم الاستطاعة بقوله: "إنهم عن السمع لمعزولون"، لأنَّ السماء ملئت حرسًا شديدًا وشُهُبًا في مدة إنزال القرآن على رسوله فلم يخلص أحدٌ مِن الشياطينِ إلى استماعِ حرفٍ واحدٍ منه، لئلا يشتبه الأمر[٣].

الأمر الثالث: (الرسول)، وفيه وصايا لرسول الله ﷺ ولكل داعية إلى الله

"فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين (٢١٣) وأنذر عشيرتك الأقربين (٢١٤) واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين (٢١٥) فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون (٢١٦) وتوكل على العزيز الرحيم (٢١٧) الذي يراك حين تقوم (٢١٨) وتقلبك في الساجدين (٢١٩) إنه هو السميع العليم (٢٢٠)".

لم تكن خاتمةُ السورة خالصةً للحديث عن الرسالة والمرسل إليهم فحسب بل خُصَّ الرسول أيضًا

---

(١) تفسير مقاتل (٢٨١/٣).

(٢) ينظر: البقاعي، نظم الدرر (١٠٥/١٤).

(٣) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (١٦٥/٦)، البقاعي، نظم الدرر (١٠٥/١٤).

بخطابٍ خاصٍ به، فإنَّ الرسولَ ﷺ وأتباعَه مِن المبلِّغين عن الله والداعين إليه يواجهون من الخصومة والتكذيب والشدة ما هم بحاجةٍ معه إلى ما يعينهم على أداء رسالتهم ويثبِّتهم، فقد يخافون ويحزنون ويركنون إلى المخالفين، ولذلك جاءت الآيات: "فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين"، "ولا تحزن عليهم ..."، "ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم ..."، وجاء أمرُهم بالأوامر وأعظمُها التوحيد ونهيُهم عن النواهي وأعظمُها الشركُ، ولذلك جاءت هذه الآيات مشتملةً على خمس وصايا:

الأولى: النهي عن الشرك وهو مستلزمٌ للأمر بضدِّه وهو التوحيد، وذلك ليكون الداعي أولَ الممتثلين، فليست الأوامر في شريعتنا خاصةً بالأتباع دون المتبوعين كما هو حال بعض الطوائف، بل المتبوع يجب أن يكون أسرع الناس إلى الامتثال ليكون أدعى لقبول قوله إذ لو كان ما يقول حقًّا لكان هو أعجلهم إليه، بل هو قبل ذلك عبدٌ لله موعودٌ بالعذاب إذا لم يؤمن ولذلك قال تعالى: "فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين"، والخطاب في قوله: "فلا تدعُ" للنبي ﷺ ولكل من يتأتى له الخطاب، ومن المعلوم أن النهي إذا خوطب به المنتهي فإن معناه الاستمرار والثبات، أي: دم على ذلك واثبت عليه، وفي قوله: "فتكون من المعذبين" إشارةٌ لعدم امتيازه بخصوصية تدرأ عنه العقوبة بل من أشرك فسيكون في زمرة المعذَّبين، والفاء في قوله: "فتكون" سببية أي: فيتسبب عن ذلك أن تكون من المعذبين. وذكر ابن عاشور أنَّ في توجيه الخطاب له ﷺ مع كونه أبعد الناس عن الشرك اهتمامًا بهذا النهي، وتعريضًا بالمشركين بأنهم سيُعَذَّبون؛ للعلم بأن النبي ﷺ وأصحابه غير مشركين(١)، وفيه أيضًا: تَلَطُّفٌ مع غيره فيما يأتيه من الإنذار(٢)، فهذا النهي كقوله تعالى: "ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين".

الثانية: البدء بنذارة الأقربين فهم الأولى بالمعروف ولأنهم أعلم الناس بنصحه لهم وأمانته وصدقه، ثم ليكونوا عُدَّةً له لدعوة الأبعدين، ولذلك قال: "وأنذر عشيرتك الأقربين"، وذكر النذارة هنا دون البلاغ لأن المخالِف موعودٌ بالعذاب المصرَّح به.

وفي الأمر بإنذار الأقربين إشارةٌ أيضًا لِعظم الأمر وأنه لا محاباة فيه للقريب، ولذلك لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: "**يا معشر قريش: اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا بني عبد مناف: لا أغني عنكم من الله شيئا، يا عباس بن عبد المطلب: لا أغني عنك من الله شيئًا، ويا صفية عمة رسول الله: لا أغني عنك من الله شيئًا، ويا فاطمة بنت محمد: سليني ما شئتِ مِن مالي لا أغني عنك**

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٩/٢٠٠).

(٢) البقاعي، نظم الدرر (١٤/١٠٧).

من الله شيئا"[١].

الثالثة: اللين للأتباع من المؤمنين ليزيدوا ولا ينقصوا ويثبتوا ولا ينفروا، كما قال: "فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظًا غليظ القلب لانفضوا من حولك"، وجاء التعبير عن لين الجانب بخفض الجناح تشبيهًا بخفض الطائر لجناحه وهي صورةٌ تعبِّر عن غاية التواضع، وهي استعارة تبعية، قال الزمخشري: "الطائرُ إذا أراد أن ينحطَّ للوقوع كَسَر جناحه وخفضه، وإذا أراد أن ينهض للطيران رفع جناحه، فجُعِل خفضُ جَناحِه عند الانحطاط مثلًا في التواضع ولين الجانب، ومنه قول بعضهم:

وأنت الشَّهيرُ بخفضِ الجناحِ فلا تَكُ في رَفْعِهِ أَجْدَلا

ينهاه عن التكبر بعد التواضع"[٢].

وقال ابن السِّيْد البَطَلْيَوْسِي: "و(خفض الجناح) مثلٌ مضروبٌ لِلِين الجانب، وتَعَطُّفِ الإنسان على مَن أوى إليه، وإشفاقِه على من رآه بحالِ شدةٍ وبؤس، وأصل ذلك أنَّ الطائر يضع جناحيه على فراخه، ويلحفها إياهما، فضرب مثلًا التعطف.. ولهذا قالوا: فلانٌ مُوَطَّأ الأكناف، وقد يضرب الجناح أيضًا مثلًا في العون على الأمور كما قال مسكين الدرامي:

أخاك أخاك إنَّ مَن لا أخا له كساعٍ إلى الهَيْجَا بغير سلاحِ

وإنَّ ابنَ عَمِّ المرءِ فاعلم جناحَه وهل ينهضُ البازيْ بغير جناحِ"[٣].

وقوله: "لمن اتبعك من المؤمنين" تعليقٌ لخفض الجناح بالأتباع المؤمنين سواء كانوا من الأقربين أم من الأبعدين.

الرابعة: البراءة من المعاندين المصرين على كفرهم، وبذلك تحصل المفاصلة والفرقان بين الحق والباطل، فقوله: "فإن عصوك" أي: عشيرتُك "ويدخل غيرهم من باب أولى"[٤]، ولزيادة التوكيد لم يقل: فإن عصوك فابرأ، وإنما قال: "فقل إني بريء"، فيجب أن يُسمِعَهم البراءة منهم ولذلك نص على القول (فقل)، وجاءت البراءة بالجملة الاسمية الدالة على الثبات والدوام حيث قال: (إني بريء) دون (برئت)، وقوله: {مِّمَّا

---

(١) رواه البخاري (٤٧٧١)، ومسلم (٣٥١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) الزمخشري، الكشاف (٣/٣٤٠).

(٣) البطليوسي، الاقتضاب في شرح أدب الكتاب (١/١٣٤).

(٤) البقاعي، نظم الدرر (١٤/١٠٩).

تَعۡمَلُونَ} من المعلوم أن البراءة من المشركين أيضًا، وإنما عُبِّر هنا وفي مواضع أخرى في كتاب الله بالبراءة من عملهم لاستنزال طائرهم وتأليف قلوبهم للهدى، وأن البراءة إنما هي من أعمالهم، فليس بيننا وبين موالاتهم ومودتهم إلا أن يفارقوا تلك الأعمال ويكونوا عبادًا لله وحده.

الخامسة: التوكل على الله، وذلك أنه مع مفارقة المشركين والبراءة منهم فسيعظم كيدهم وتستحكم عداوتهم فناسب حينئذٍ وصية النبي ﷺ وأتباعه بالتوكل على الله والاعتماد عليه فإنه الحافظ والمَعَاذ والملجأ ولذلك قال: "وتوكل على العزيز الرحيم" الموصوف بعزة القدر والقهر والامتناع، فلا يُرَامُ جَنَابُه سبحانه وتعالى ولا يُنال مِن أولياءه وهو معهم يؤيدهم وينصرهم، وهو مع عزته موصوف بالرحمة؛ فهو رحيمٌ بعباده المؤمنين؛ يرى عملهم، ويسمع دعاءهم، ويعلم حالهم، ولذلك أتبع وصفه بالرحمة بقوله: "الذي يراك حين تقوم (٢١٨) وتقلبك في الساجدين (٢١٩) إنه هو السميع العليم (٢٢٠)"، وفي هذا إدماجٌ للحث على الاستعانة بالصلاة والفزع إليها، وقوله: "حين تقوم" أي: في الصلاة وحدك كما في قيام الليل وغيره، وقوله: "وتقلبك في الساجدين" أي: في الصلاة جماعة كما في الفروض الخمس.

وصفوة الوصايا الخمس: العلم والعمل وهو مضمون الوصية الأولى، ثم الدعوة والإنذار، فإذا أنذر فسينقسم الناس بين مؤمن ومكذب؛ فأما المؤمن فيخفض جناحه له وأما الكافر فيتبرأ منه، وعند البراءة فلا بد أن يلحقه أذى فعليه أن يصبر ويتوكل على الله ويلتجئ إليه، وهذه هي الوصايا في سورة العصر: "والعصر (١) إن الإنسان لفي خسر (٢) إلا الذين ءامنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر (٣)".

ويلحظ أن هذه الوصايا اشتملت على نهي وعلى أربعة أوامر صيغت بفعل الأمر.

الأمر الرابع: بيان سوء حال المشركين

"هل أنبئكم على من تنزل الشياطين (٢٢١) تنزل على كل أفاك أثيم (٢٢٢) يلقون السمع وأكثرهم كاذبون (٢٢٣) والشعراء يتبعهم الغاوون (٢٢٤) ألم تر أنهم في كل واد يهيمون (٢٢٥) وأنهم يقولون ما لا يفعلون (٢٢٦) إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون (٢٢٧)".

تبين مما تقدم أن الخاتمة افتتحت بالحديث عن القرآن الكريم، ثم عن المرسل إليهم وهم المشركون حيث بُيِّن تعنُّتهم ومعاندتهم للحق ثم أنذروا ورُدَّت شبهتهُم، وبعد ذلك انتقل الخطاب إلى رسول الله ﷺ، وبعد بيان هذه الأمور الثلاثة وهي (الرسالة والمرسل إليهم والرسول)، ناسب أن تُختم الخاتمة ببيان حال

المشركين، وهذا من أحسن ما يكون، فكأن ما تقدم بيانٌ للحق ثم هنا بيانٌ لحال المعرضين عنه وأنهم لم يأتوا بخيرٍ منه وإنما استبدلوه بباطل، ولذلك ذكر سبحانه وتعالى في هذه الآيات صنفين كانا معظَّمين عند العرب في الجاهلية وهم: الكهان والشعراء:

فالكهان كان "أكثر أهل الجاهلية يتحاكمون إليهم"(١) ويصدرون عن آرائهم في الحرب والسِّلم، والكاهن يدَّعي علم الغيب ويترجم عن الأصنام.

وكذلك الشعراء كانوا مقدَّمين عند العرب؛ قال ابن رشيق: "كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعرٌ أتت القبائلُ فهنأتَها، وصنعت الأطعمة، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعون في الأعراس، ويتباشر الرجال والولدان؛ لأنه حماية لأعراضهم، وذب عن أحسابهم، وتخليد لمآثرهم، وإشادة بذكرهم، وكانوا لا يهنئون إلا بغلام يولد، أو شاعر ينبغ فيهم، أو فرس تنتج"(٢).

فالكاهن عند العرب يخبرهم بالمغيَّبات ويتحاكمون إليه فهو البديل عندهم عن النبي، والشاعر يمثِّل (القوة الإعلامية) –وسيأتي في كلام ابن سينا أنه كالنبي أيضًا عند الجاهليين– فالشعر أرفع أجناس القول عند العرب يذكرون به مآثرهم ويفتخرون على غيرهم ويهجون خصومهم، ولأجل ذلك لما بُعث النبي ﷺ رموه بالكهانة والشعر ليصلوا من ذلك إلى أنه لا مزية له عليهم فعندهم كاهنهم وشاعرهم، وهم أعلم الناس بأن النبي ﷺ بريء من ذلك، ولذلك قال كبيرهم الوليد بن المغيرة لما اجتمع إليه نفر من قريش وكان ذا سِنٍّ فيهم: "يا معشر قريش: إنه قد حضر هذا الموسم، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأيًا واحدًا ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضًا.. قالوا نقول: كاهن، قال: لا والله ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه.. قالوا: فنقول: شاعر، قال: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه، فما هو بالشعر"(٣).

قال تعالى: "هل أنبئكم على من تنزل الشياطين": وهو رَدٌّ لقولهم: تنزل عليه شيطان، وهو استفهامٌ غرضه التشويق فلا يطلب جوابًا ولذلك أجاب فقال: "تنزل على كل أفاك أثيم"، "فالشياطين لا رغبة لهم في مثل هذا القرآن العظيم وإنما ينزلون على من يشاكلهم ويشابههم من الكهان الكذبة، والأفاك: الكذوب في

(١) الجاحظ، البيان والتبين (٢٤١/١).

(٢) ابن رشيق، العمدة (٦٥/١).

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية (٢٧٠/١).

قوله، والأثيم: الفاجر في فعله"[١]، وقد جاء وصفهما بالإفك والإثم بصيغتي المبالغة (فعال) و(فعيل) الدالتين على كثرة صدور الوصف من الموصوف به، وإعادةُ ذكر المسند في الجواب (تَنَزَّل على..) للتوكيد، والتعبير بالمضارع (تنزل) يفيد استمرارَ تَنَزُّلِ الشياطينِ عليهم وتجدُّدَه، وصيغة (التفعُّل) تدل على التتابع والتردد، وحذف إحدى التاءين مِن الفعل (تتنزل) يدل على الخفاء[٢] أو السرعة والخفة[٣]، ودَلَّ ذكرُ (كل) على أنَّ تنزيل الشياطين يتناول كل فرد من أفراد الأفاكين الآثمين وهم الكهان.

وبما أن السؤال معادٌ في الجواب، فإن الجواب يفيد القصر أي: إثبات تنزل الشياطين عليهم ونفيه عن النبي ﷺ، وذلك لأن السؤال قُدِّم فيه الجار والمجرور فكأن التركيب: هل أنبئكم على من تتنزل عليه الشياطين دون غيره؟ ففيه براءةٌ وتنزيهٌ للنبي ﷺ.

"يلقون السمع وأكثرهم كاذبون": الضمير في "يلقون" يعود إلى الشياطين كما قال ابن جرير ونقله عن السلف[٤]، ويدل عليه قول النبي ﷺ عن الكهان: "**إنهم ليسوا بشيء**"، فقيل: يا رسول الله: فإنهم يحدِّثون بالشيء يكون حقًّا؟ فقال النبي ﷺ: "**تلك الكلمةُ مِن الحق يخطَفها الجني، فيُقرقِرُها في أذن وليِّه كقرقرة الدجاجة، فيخلِطون معها أكثر من مائة كَذْبَة**"[٥]، فالشياطين تلقي السمع –أي: المسموع– إلى الكهان، وقوله: "وأكثرهم كاذبون": لأنهم يخلطون به كذبًا كثيرًا.

وأما الصنف الثاني وهم الشعراء فقال تعالى عنهم: "والشعراء يتبعهم الغاوون (٢٢٤) ألم تر أنهم في كل واد يهيمون (٢٢٥) وأنهم يقولون ما لا يفعلون (٢٢٦)"، فذكر تعالى أتباعهم وأنهم الغاوون وفي ذلك تعريضٌ بالمشركين وتنزيهٌ للنبي ﷺ لأن أتباعه أهل رشاد لا غي، وهذا التركيب وهو تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي يفيد القصر عند الزمخشري ولذلك قال: "ومعناه: أنه لا يتبعهم على باطلهم وكذبهم وفضول قولهم وما هم عليه من الهجاء وتمزيق الأعراض والقدح في الأنساب، والنسيب بالحرم والغزل والابتهار، ومدح من لا يستحق المدح، ولا يَستحسِنُ ذلك منهم ولا يَطرب على قولهم =إلا الغاوون والسفهاء والشطار"[٦]،

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (١٧٢/٦).

(٢) البقاعي، نظم الدرر (١١١/١٤).

(٣) القيسي، سر الإعجاز في تنوع الصيغ المشتقة (١٢٣).

(٤) الطبري، جامع البيان (٦٧١/١٦).

(٥) رواه البخاري (٧٥٦١)، ومسلم (٢٢٢٨)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٦) الكشاف مع حاشية الطيبي (٤٤٣/١١).

وأما على مذهب عبد القاهر والسكاكي فليس بقصر، لأن عبد القاهر يشترط تقدم حرف نفي على المسند إليه، والسكاكي يشترط أن يكون المسند إليه نكرةً[١]، والمقصود أن هذا التركيب يفيد تقوية هذا الحكم وتوكيده.

وفي قوله: "يتبعهم" بالتشديد إشارةٌ إلى "غاية الجهد في الاتباع، لاستحسان مقالهم وفعالهم، فيتعلمون منهم وينقلون عنهم"[٢].

ثم ذكر سبحانه وتعالى للشعراء صفتين:

الأولى: أنهم يخوضون في كل شيء.

والثانية: أنهم يكثرون الكذب.

وهاتان الصفتان ظاهرتان لكلِّ مَن تتأتَّى منه الرؤية، ولذلك صدَّرهما بقوله: "ألم تر".

وقد أشير إلى الصفة الأولى بطريق الاستعارة حيث شبه خوضهم في كل شيء بالهائم على وجهه الذي لا مقصد له بل هو متحير ينزل في كل وادٍ، وهكذا الشاعر فإنه يمدح اليوم من ذمه بالأمس، ويعظ مرة ويتهتك أخرى، ويظهر حينًا بمظهر الشاب الفتي ويلبس أخرى ثوب الحكيم المجرِّب.

قال ابن الأثير: "استعار الأودية للفنون والأغراض من المعاني الشعرية التي يقصدونها، وإنما خص الأودية بالاستعارة، ولم يستعر الطرق والمسالك أو ما جرى مجراها؛ لأن معاني الشعر تستخرج بالفكرة والروية، والفكرة والروية فيهما خفاء وغموض، فكان استعارة الأودية لها أشبه وأليق"[٣].

وأشار سبحانه وتعالى إلى الصفة الأخرى للشعراء وهي الكذب فقال: "وأنهم يقولون ما لا يفعلون" فإذا كانوا يهيمون في كل وادٍ ويخوضون في كل شيءٍ كيفما جَرَّهم القول انجرُّوا؛ من القدح في الأنساب، والتشبيب بالحُرَم، والهجو، ومدح من لا يستحق المدح ونحو ذلك، فإذا كان هذا حالهم فيلزم منه هذه الصفة: "وأنهم يقولون ما لا يفعلون" فأكثر أقوالهم لا حقائق لها، وإنما ألجأهم إليها الخوض في كل قول[٤]، فيقع في شعرهم الكذب في الفخر والمديح والشجاعة وتقبيح الحسن وتحسين القبيح وغير ذلك، وفي التعبير

---

(١) ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز (١٢٨)، السكاكي، مفتاح العلوم (٢٢١).

(٢) البقاعي، نظم الدرر (١١٣/١٤).

(٣) ابن الأثير، المثل السائر (٧٧/٢).

(٤) ينظر: البقاعي، نظم الدرر (١١٤/١٤).

بالمضارع إشارة إلى تجدد ذلك منهم كل حين، ولأجل ذلك مدح عمر رضي الله عنه زهيرًا وفضَّله لأنه "كان لا يمدح الرجل إلا بما فيه"(١).

قال ابن عاشور: "وفي هذا إبداء للبون الشاسع بين حال الشعراء وحال النبي ﷺ الذي كان لا يقول إلا حقًّا ولا يصانع ولا يأتي بما يضلِّل الأفهام"(٢).

"إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا": استثنى سبحانه تعالى من الذم صنفًا من الشعراء وهم الذين جمعوا أربعة أوصاف وهي الإيمان، والعمل الصالح، وكثرة ذكر الله في كل أحوالهم حتى لا يَشغلهم الشعر عن الذكر، وأن لا يذكروا هجو أحدٍ إلا على سبيل الانتصار ممن يهجوهم(٣).

وهؤلاء المستثنون قلة، وغالب الشعراء من الصنف المذموم وذلك لأنَّه معلومٌ من اللغة أنَّ المستثنى أقلُّ مِن المستثنى منه.

"وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون (٢٢٧)" قال الزمخشري: "ختم السورة بآية ناطقة بما لا شيء أهيب منه وأهول، ولا أنكى لقلوب المتأمّلين، ولا أصدع لأكباد المتدبرين، وذلك قوله: "وسيعلم" وما فيه من الوعيد البليغ، وقوله: "الذين ظلموا" وإطلاقه، وقوله: "أي منقلب ينقلبون" وإبهامه"(٤)، أي: وما في الإبهام من التهويل.

المطلب الثالث: الصلة بين الخاتمة وما قبلها

هناك صلةٌ بَيِّنَةٌ بين الخاتمة وما قبلها جعلتها في غاية المناسبة لأن تختم بها السورة؛ ويتضح ذلك من وجوه:

١- بدأت فاتحة السورة وخاتمتها بالتنويه بشأن القرآن: "طسم (١) تلك ءايات الكتاب المبين (٢)"، وفي صدر الخاتمة: "وإنه لتنزيل رب العالمين (١٩٢) نزل به الروح الأمين (١٩٣) ..."

٢- جاء في فاتحة السورة أيضًا تسلية النبي ﷺ عن إيمان من لم يؤمن، فإنما عليه البلاغ فلا يهلك

---

(١) ابن رشيق، العمدة (٩٨/١).

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢١٠/١٩).

(٣) ينظر: الرازي، التفسير الكبير (٥٣٨/٢٤).

(٤) الزمخشري، الكشاف (٣٤٥/٣).

نفسه حرصًا على هدايتهم، فإنهم إنما أُتُوا من أنفسهم فهم يستهزئون بالوحي ويكذبونه ويعرضون عنه ومن كان هذا حاله فلا ينتفع بموعظة ولا يخضع لحجة، وجاء مثل ذلك في خاتمة السورة: "ولو نزلناه على بعض الأعجمين (١٩٨) فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين (١٩٩) كذلك سلكناه في قلوب المجرمين (٢٠٠) لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم (٢٠١) ..."، قال ابن جرير: "وهذا تسليةٌ مِن الله نبيَّه محمدًا ﷺ عن قومه، لئلا يشتد وَجْدُه بإدبارهم عنه، وإعراضهم عن الاستماع لهذا القرآن، لأنه كان ﷺ شديدًا حرصُه على قبولهم منه، والدخولِ فيما دعاهم إليه، حتى عاتبه ربه على شدة حرصه على ذلك منهم، فقال له: "لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين"، ثم قال مُؤْيِسَه مِن إيمانهم وأنهم هالكون ببعض مَثُلَاتِه كما هلك بعض الأمم الذين قص عليهم قصصهم في هذه السورة: "ولو نزلناه على بعض الأعجمين" يا محمدُ لا عليك، فإنك رجلٌ منهم، ويقولون لك: ما أنت إلا بشر مثلنا، وهلا نزل به ملك، فقرأ ذلك الأعجم عليهم هذا القرآن، ولم يكن لهم علة يدفعون بها أنه حق، وأنه تنزيل من عندي، ما كانوا به مصدقين، فخفِّض من حرصك على إيمانهم به، ثم وكد تعالى ذكره الخبر عما قد حتم على هؤلاء المشركين.. فقال: "كذلك سلكناه" أي: أدخلنا التكذيب والكفر.. كأنه قال: كذلك أدخلنا في قلوب المجرمين ترك الإيمان بهذا القرآن "[١].

وهذان الوجهان عاد فيهما الختام إلى الابتداء، فهو من (رد الأعجاز على الصدور)، وهو محقِّقٌ لمقصد السورة ومعانيها الكلية؛ قال العلوي: "إن الله تعالى ختم كل سورة من سوره بأحسن ختام، وأتمها بأعجب إتمام، ختاما يطابق مقصدها، ويؤدِّي معناها[٢]".

٣- بعد فاتحة السورة ذُكرت قَصص سبعةٍ مِن الأنبياء ودعوتُهم أقوامَهم إلى عبادة الله، واستغرق ذلك أكثر السورة، ووردت الخاتمة بعد ذلك في غاية المناسبة، وذلك أنه ما من شريعةٍ أنزلها الله إلا وهي مشتملةٌ على ثلاثة أمور: **رسول، ورسالة، ومرسَل إليهم**، وعليها دارت الأخبار المتقدمة للأنبياء مع أقوامهم، فناسب خَتْمُ السورة بالحديث عنها في شريعتنا.

٤- ذكر أيضًا في أخبار الأنبياء جميعًا: الدعوة إلى عبادة الله، والنهي عن مخالفته، ورد الشبه، ثم الإخبار عن تكذيبهم ونزول العذاب بهم، وجاء ذلك أيضًا في ختام السورة عند مخاطبة المشركين، فذكرت لهم الأدلة على صدق النبي ﷺ فيما بلَّغه، ورُدَّت شبهُهم، ثم خُوِّفوا نزول العذاب: "لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم"، إلى قوله مذكِّرًا بحال الأمم السابقة: "وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون (٢٠٨) ذكرى وما

---

(١) الطبري، جامع البيان (٦٤٨/١٧).

(٢) العلوي، الطراز (١٠٤/٣).

كنا ظالمين (٢٠٩)".

٥- مما ربطت فيه الخاتمة بما قبلها: أن رسالة الأنبياء واحدة وهي الدعوة إلى عبادة الله وحده، ولذلك قال نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام لأقوامهم: "... ألا تتقون (١٠٦) إني لكم رسول أمين (١٠٧) فاتقوا الله وأطيعون (١٠٨) وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين (١٠٩)"، ولأجل ذلك كان التكذيب بأحدهم تكذيبٌ بالجميع كما قال تعالى: "كذبت قوم نوح المرسلين (١٠٥)" مع أنهم كذبوا بنبيهم فقط، وكذا نُسِب تكذيب المرسلين إلى قوم هود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام، وجاء في الخاتمة قوله: "وإنه لفي زبر الأولين (١٩٦) أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل (١٩٧)"، قال ابن عطية: "وجاءت الألفاظ في دعاءِ كلِّ واحدٍ مِن هؤلاء الأنبياء واحدةً بعينها إذ كان الإيمان المدعو إليه معنى واحدًا بعينه"[١].

وفي قوله: "أولم يكن لهم آية ..." عودٌ على الآيات المتكرر ذكرها مرات في السورة: "إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين (٨) وإن ربك لهو العزيز الرحيم (٩)"، وتنكير (آية) للتعظيم، فمن تدبرها طالبًا الهداية فإن الله يوفقه للإيمان، ومن أعرض بعد أن قامت عليه الحجة فإنه يستوجب العذاب، ولذلك اطرد في أخبار الأنبياء في هذه السورة عند ما يذكر نزول العذاب بهم تختم القصة بقوله: "إن في ذلك لآية ..." الآيات.

٦- الإشارة إلى أن هذا الخير الذي أتى به الأنبياء بذلوه لأقوامهم فهم أعظم الناس حقًّا عليهم لقرابتهم، ولذلك تكرر قوله: "إذ قال لهم اخوهم" فنص على الأخوة، وقال عن إبراهيم عليه السلام: "إذ قال لأبيه وقومه"، وإنما لم يأت وصف شعيب عليه السلام بـ(أخوهم) لأنه ليس أخًا لهم في النسب[٢]، ورجح ابن كثير أنه أخٌ لهم وإنما لم يُذكر تنزيهًا له عليه السلام لأنهم نُسبوا إلى عبادة الأيكة وهي شجرة[٣].

والمقصود أن هذا الوصف تكررت الإشارة إليه، وجاء في الخاتمة أيضًا في قوله: "وأنذر عشيرتك الأقربين" أي: فهم الأولى بالمعروف ولأنهم أعلم الناس بنصحه لهم وأمانته وصدقه، وذكر سبحانه وتعالى في أول السورة عظيم حرص النبي ﷺ على هداية قومه حتى إنه قد يهلك نفسه حزنًا عليهم وحرصًا على

---

(١) ابن عطية، المحرر الوجيز (٢٤٢/٤).

(٢) البغوي، معالم التنزيل (١٢٧/٦).

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (١٥٨/٦).

هدايتهم: "لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين".

٧- في المقطع الأخير من السورة ورد ذكر الشعراء: "والشعراء يتبعهم الغاوون"، بل سُمِّيت السورة بهذا الاسم، فلا بد أن له شأنًا، وذلك والله أعلم أن أكثر السورة اشتمل على حوارات الأنبياء وجدالهم لأقوامهم، فقد تفنن أولئك الأقوام في رد رسالات الأنبياء بكل ما أوتوا من بيان، فاستعملوا المغالطات والشبهات للتأثير على الأتباع، كَمَنِّ فرعون بالنعمة: "قال ألم نربك فينا وليدًا ولبثت فينا من عمرك سنين"، والتعيير بالخطأ: "وفعلت فعلتك التي فعلت ..."، ثم تظاهره بالإنصاف والبحث: "وما رب العالمين؟" وخداع الجماهير بالتهكم: "ألا تستمعون؟" ثم اتهام الرسول بالجنون واختلال العقل.. وكاحتجاج قوم إبراهيم بتقليد الآباء، وكترك قوم نوح الإيمان به لضعف أتباعه، وكتقليد عاد للأكثرين، وكاحتجاج ثمود بمساواة المبلِّغ لهم وأنه بشر مثلهم.. إلى آخر ما حكى الله عنهم من تلك الأقوال التي يحتجون بها. وأرفعُ أجناس هذه الأقوال التي هي من قبيل المغالطات والشبه هو الشعر، وهو أكثر احتمالًا لذلك، لأنه مبنيٌّ على التخييل ويهدف إلى تغيير الآراء بالتأثير في النفوس لا الإقناع بحجج العقول، فلأجل ذلك والله أعلم ختمت السورة الكريمة بذكر الشعراء وبيان حالهم -وتقدم بسطه- وقد قال أبو علي ابن سينا[١]: إنهم كانوا ينزلون الشاعر منزلة النبي فيعتقدون قوله وينقادون لحكمه ويؤمنون بكهانته.

٨- ثم في آخر آيةٍ وهي خاتمة الخاتمة: "وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون (٢٢٧)" تهديدٌ فظيع للمكذبين وهو مؤذنٌ بانتهاء الكلام ففيه براعة ختام، وذلك أنَّ المشركين أخبروا بهلاك المعاندين من الأمم السابقة، وأقيمت عليهم الحجج، ونفيت عنهم الشبه، فلم يبق بعد ذلك إلا أن ينتظروا تحقق الوعيد فيهم، فالآيةُ "ناطقةٌ بأهيبِ موعظةٍ وأهولِ وعيدٍ لِمَن تَدَبَّرها، لِمَا اشتملت عليه مِن حرف التنفيس المؤذِن بالاقتراب، ومِن اسم الموصول المؤذن بأن سوء المنقلب يترقب الظالمين لأجل ظلمهم، ومن الإبهام في قوله: "أي منقلب ينقلبون" إذ تَرْكُ تبيينِه بعقابٍ معيَّنٍ لِتذهَلَ نفوسُ الموعَدين في كلِّ مذهبٍ ممكنٍ مِن هول المنقلب، وهو على الإجمال منقلب سوء"[٢].

فهذه الوجوه الثمانية يتضح بها شدة صلة الخاتمة بما سبقها.

---

(١) ينظر: حازم، منهاج البلغاء (١٢٢، ١٢٤)، ولم أقف على النقل في كتب ابن سينا.

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢١٣/١٩).

الخاتمة

بعد أن وفقني الله تعالى لإتمام هذه الدراسة، فسأجمل أهم النتائج والتوصيات:

– ليس هناك ضابطٌ محدَّدٌ بمقدارٍ أو أسلوبٍ يميِّز خاتمة السورة ولا فاتحتها أيضًا، وإنما هو ضابطٌ موضوعيٌّ يمكن التوصل إليه في كل سورةٍ بحسبها بعد دراستها ومعرفة مقصدها الأصلي الذي تدور حوله موضوعاتُها، فتكون المعاني هي الحاكمة في تمييز هذه الأجزاء بعضها عن بعض: الفاتحة والمضمون والخاتمة.

ويتنبه إلى أن هذه الأقسام يمكن ملاحظتها في السور الطوال، أما قصار السور قد تتداخل فيها هذه الأجزاء وهي جديرةٌ بتخصيصها بالدراسة.

– لا بد من معرفة مقصد السورة وعمودها أو وحدتها الموضوعية، إذ ينبني عليها الحديث عن الخاتمة وتبيان حسنها.

– عني البلاغيون بالخاتمة وأهمية تجويدها والتأنق فيها يظهر ذلك من حثهم عليها لكونها آخر ما يعيه السمع ويرتسم في النفس، ومِن تعدد مصطلحاتها، كـ(الانتهاء) و(حسن الخاتمة) و(حسن المقطع) و(جودة القطع) وغيرها، ومِن خلال الفنون البديعية المتصلة بها، كـ(التناسب) و(الائتلاف) و(رد الأعجاز على الصدور).

– حسن الختام يجعل الكلام محكم النسج متلاحم الأجزاء، ويُعَانِقُ آخرَه بأوَّلِه، وأحسنه ما كان مؤذنًا بانتهاء الكلام بحيث لا يتشوف السامع لشيءٍ بعده، وقد ظهر هذا في دراسة السورة، بل هي على الذروة العليا من ذلك، كما ظهر من خلالها أيضًا أهمية المعاني التي تضمنتها الخواتم، ولذلك قال البقاعي في تفسير سورة النساء: "الختام من مظنات الاهتمام"(١).

– حسن الختام تلاحظ فيه المعاني الكلية للسورة، وهو أمرٌ يأتي بعد معرفة معنى كل آية، ولذلك ذكر البلاغيون أنه لا بد فيه من التأمل والتدبر فهو ليس مبذولًا للقارئ العَجِل، وقبل ذلك وبعده عونُ الله وهدايتُه نسأله تعالى من فضله.

– حسنُ الختام في السورة الكريمة سورة الشعراء لم يكن تَكرارًا محضًا أو مجرَّد تلخيصٍ وفذلكةٍ وإجمالٍ لمفصَّل السورة، بل كان تأسيسًا لخطابٍ لم يُبسَط من قبل، وهو مع ذلك شديدُ الصلة بمضمون السورة كلها

---

(١) البقاعي، نظم الدرر (٥/٢١٠).

مِن فاتحتها، وهذا مِن عجيب بلاغة القرآن، وكيف سَلِمت خاتمتُه مِن التكرار المحضِ ومِن ابتداء معانٍ منفصلةٍ عما سبقها، وإنما جاءت محقِّقةً للأمرين معًا؛ فهو خطابٌ جديدٌ وهو مع ذلك مقرِّرٌ للمقصد الكلِّيّ للسورة، مراعٍ تَدَرُّجَ موضوعاتها، فكان المقطعَ المؤذن بالانتهاء، والأحرى بأن يكون آخرَ ما يَطرُق أذن السامع فلا يطلب بعده المزيد؛ فأما المستمع فيستعيد، وأما التالي فيشتغل بالترديد.

– لا يَتَبَيَّنُ مقاصدَ السورةِ ولا براعةَ استهلالِها ولا حسنَ ختامِها =مَن يقتصرُ على قراءة بعضِها أو يجزِّئُها في مجالسَ متباعدة، فإن كان فاعلًا فليقرأ من أولها، ولذلك فينبغي الحرص على قراءة السورة في مقامٍ واحدٍ، وهذا هو هدي النبي ﷺ؛ قال ابن القيم رحمه الله: "كان من هديه ﷺ قراءةُ السورة كاملة، وربما قرأها في الركعتين، وربما قرأ أول السورة، وأما قراءة أواخرِ السور وأوساطِها فلم يُحفظ عنه.. وأما قراءة سورة واحدة في ركعتين معا فقلما كان يفعله"(١). وكان تحزيب الصحابة رضي الله عنهم للقرآن مقسَّمًا على السور كما في حديث أوس بن أبي حذيفة رضي الله عنه(٢)، بل بلغ من الحرص على ذلك أنَّ عَبَّادَ بنَ بِشْرٍ رضي الله عنه كان ربيئةَ المسلمين في غزوة ذات الرقاع، فرماه مشركٌ بسهمٍ وهو قائمٌ يصلي فانتزعه ووضعه وثبت قائمًا، حتى رماه بثلاثة أسهم، ثم ركع وسجد ثم أنبه صاحبَه، فلما رأى ما به من الدماء قال: سبحان الله! أفلا أنبهتني أولَ ما رمى؟ قال: كنتُ في سورةٍ أقرؤها فلم أحبَّ أن أقطعها حتى أنفذَها، فلما تابع عليَّ الرميَ ركعتُ فآذنتُك، وأيم الله لولا أن أضيّعَ ثغرًا أمرني رسولُ الله ﷺ بحفظه لَقَطَع نَفَسِي قبل أن أَقطَعَها أو أُنفِذَها(٣).

وقد أشار الشاطبي إلى هذا المعنى وأنه لا بد للمتفهِّم من رد آخر الكلام على أولِه، وأوله على آخره، أما تفريق النظر في أجزائه فلا يوصل إلى المراد(٤).

– هذه الدراسة متعلقة بخاتمة سورة الشعراء فقط، فلا يمكن تعميمُ نتائجها على سائر السور؛ فإنها وإن اتفقت في جوانب إلا أنَّ لكل سورةٍ سمتًا ونَسَقًا تختلف به عن باقي السور.

– مِن القصور أن تُعَلَّلَ مناسبةُ المقاطع للمطالع أو الخواتم للفواتح بتتبُّعِ كلمةٍ وردت هنا وهناك أو

---

(١) ابن القيم، زاد المعاد (٢٤٢/١).

(٢) رواه أبو داود (١٣٩٣).

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية (٢٠٩/٢). وأصله في سنن أبي داود (١٩٨).

(٤) ينظر: الشاطبي، الموافقات (٢٦٦/٤).

ملاحظةِ معنى ورد فيهما، فقد تتكرر كلماتٌ ومعانٍ، وقد تكون المناسبة للمعنى الكلي لا لأجل كلمة، وقريبٌ من ذلك مَن يعيد سبب تسميةِ سورةٍ بورود الاسم في إحدى آياتها، فلا يجدي الإجمال في مثل هذا، ولا يتبين به إعجاز القرآن.

– ذكرت في الدراسة أن الآية الأخيرة جاءت في غاية المناسبة لما قبلها، وهي مؤذنةٌ بالانتهاء، فتكون (ختام الختام)، ولم أقف على من ذكر هذا المصطلح، وهو يفتح الباب لهذا الجزء من الكلام، وتتبعه وبيان بلاغته، وهل له نظيرٌ في السور الأخرى أو كانت خاتمتها جزءًا واحدًا؟

ومن التوصيات:

– إتباع هذه الدراسة بدراساتٍ للسور الأخرى ثم ملاحظة فروق الخواتم بين السور كلها بدراسةٍ مقارِنةٍ لمواضع الاتفاق والافتراق وأسبابه.

– دراسة الصلة بين اسم السور وخاتمتها.

المصادر والمراجع

ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن محمد، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق د. بدوي طبانة وزميله، دار نهضة مصر.

ابن القيم، محمد بن أبي بكر، (١٤٣٩هـ)، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق محمد أجمل الإصلاحي، الطبعة الأولى، مكة المكرمة، دار عالم الفوائد.

ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، تونس، دار سحنون.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، (١٤٢٠هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي السلامة، الطبعة الثانية، دار طيبة.

أبو موسى، محمد، (١٤٣٣هـ)، من أسرار التعبير القرآني دراسة تحليلية لسورة الأحزاب، الطبعة الثانية، مكتبة وهبة.

أبو موسى، محمد، (١٤٣٣هـ)، آل حم غافر– فصلت دراسة في أسرار البيان، الطبعة الثانية، مكتبة وهبة.

الأزدي، مقاتل بن سليمان، (١٤٢٣هـ)، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق عبد الله شحاته، الطبعة الأولى، بيروت، دار إحياء التراث.

الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف، البحر المحيط، بيروت، دار الفكر.

الأندلسي، عبد الحق بن غالب ابن عطية، (١٤٢٢هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية.

البخاري، محمد بن إسماعيل، (١٤٢٢هـ)، صحيح البخاري، الطبعة الأولى، دار طوق النجاة.

البطليوسي، عبد الله بن محمد، (١٩٩٦م)، الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، تحقيق مصطفى السقا وزميله، القاهرة، دار الكتب المصرية.

البغوي، الحسين بن مسعود، (١٤١٧هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق محمد النمر وصاحبيه، الطبعة الرابعة، دار طيبة.

البقاعي، إبراهيم بن عمر، (١٤٠٨هـ)، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، الطبعة الأولى، مكتبة المعارف.

البقاعي، إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، حيدر آباد، الهند.

البلخي، محمد بن سليمان، مقدمة تفسير ابن النقيب في علم البيان والمعاني والبديع وإعجاز القرآن، تحقيق د. زكريا سعيد علي، القاهرة، مكتبة الخانجي.

الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبين، تحقيق عبد السلام هارون، بيروت، دار الجيل.

الجرجاني، عبد القاهر، (١٤١٣هـ)، دلائل الإعجاز، قرأه محمود شاكر، الطبعة الثالثة، القاهرة، مطبعة المدني.

الجوهري، إسماعيل بن حماد، (١٤٠٧هـ)، الصحاح، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، الطبعة الرابعة، بيروت، دار العلم للملايين.

الحميري، عبد الملك بن هشام، (١٣٧٥هـ)، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وزميليه، الطبعة الثانية، مصر، مطبعة البابي الحلبي.

دراز، محمد عبد الله، (١٤٠٤هـ)، مدخل إلى القرآن الكريم، الكويت، دار القلم.

الدوسري، منيرة محمد، (١٤٢٦هـ)، أسماء سور القرآن وفضائلها، الطبعة الأولى، دار ابن الجوزي.

الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر، التفسير الكبير، بيروت، دار الكتب العلمية.

الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، (١٤٠٠هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثالثة، بيروت، دار الفكر.

الزمخشري، محمود بن عمر، (١٤٠٧هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الطبعة الثالثة، بيروت، دار الكتاب العربي.

السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث، (١٤٣٤هـ)، السنن، حققه عصام موسى هادي، الطبعة الأولى، الجبيل، دار الصديق.

السكاكي، يوسف بن أبي بكر، مفتاح العلوم، بيروت، منشورات المكتبة العلمية الجديدة.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، (١٤٢٦هـ)، مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، قرأه وتممه د. عبد المحسن العسكر، الطبعة الأولى، الرياض، دار المنهاج.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، (١٤٢٤هـ)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، تحقيق د. عبد الله التركي، الطبعة الأولى، مركز هجر.

الشاطبي، إبراهيم بن موسى، (١٤١٧هـ)، الموافقات، تحقيق مشهور آل سلمان، الطبعة الأولى، دار ابن عفان.

الطبري، محمد بن جرير، (١٤٢٢هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، الطبعة الأولى، دار هجر.

الطيبي، الحسين بن عبد الله، (١٤٣٤هـ)، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)، الطبعة الأولى، من مطبوعات جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم.

العلوي، يحيى بن حمزة، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الأعجاز، بيروت، المكتبة العصرية.

العمادي، أبو السعود محمد بن محمد، (١٤١٤هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، الطبعة الرابعة، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

الغرناطي، ابن الزبير، (١٤٢٨هـ)، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، تحقيق سعيد الفلاح، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي.

الفراهي، عبد الحميد، (١٣٨٨هـ)، دلائل النظام، الطبعة الأولى، المطبعة الحميدية.

القاضي الجرجاني، علي بن عبد العزيز، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وزميله، مصر، مطبعة البابي الحلبي.

القرطاجني، حازم بن محمد، (١٩٨٦م)، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، الطبعة الثالثة، دار الغرب الإسلامي.

القزويني، السبكي، التفتازاني، ابن يعقوب، (١٣١٧هـ)، التلخيص وشروحه، الطبعة الأولى، مصر، مطبعة بولاق.

القزويني، محمد بن عبد الرحمن، الإيضاح في علوم البلاغة، مصر، مطبعة السنة المحمدية.

القيرواني، الحسن بن رشيق، (١٤٠١هـ)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الخامسة، دار الجيل.

القيسي، عود الله، (١٤١٦هـ)، سر الإعجاز في تنوع الصيغ المشتقة من أصل لغوي واحد في القرآن، الطبعة الأولى، الأردن، دار البشير.

مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، (١٤٣٩هـ)، موسوعة التفسير بالمأثور، الطبعة الأولى، دار ابن حزم.

المصري، عبد العظيم ابن أبي الإصبع، (١٣٨٣هـ)، تحرير التحبير، تحقيق الدكتور حفني محمد شرف، مصر، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

المطعني، عبد العظيم، (١٤٣٢هـ)، التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم، الطبعة الثالثة، مصر، مكتبة وهبة.

النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

المراجع بالحروف اللاتينية

Ābn Ālāṯyr ،Ḍyāʾ Āldyn Nṣr Āllh Bn Mḥmd ،Ālmṯl Ālsāʾr Fy Ādb Ālkātb Wālšāʿr ،tḥqyq d. bdwy Ṭbānẗ wzmylh ،Ḍār Nhḍẗ Mṣr.

Ābn Ālqym ،Mḥmd Bn Āby Bkr ،(1439h) ،Zād Ālmʿād Fy Hdy Ḫyr Ālʿbād ،Tḥqyq Mḥmd Āğml Ālāṣlāḥy ،Ālṭbʿẗ Ālāwly ،Mkẗ Ālmkrmẗ ،Dār ʿĀlm Ālfwāʾd.

Ābn ʿĀšwr ،Mḥmd Ālṭāhr ،Tfsyr Ālṭḥryr Wāltnwyr ،Twns ،Dār Sḥnwn.

Ābn Ktyr ،Ābw Ālfdāʾ Āsmāʿyl Bn ʿmr ،(1420h) ،Tfsyr Ālqrān Ālʿẓym ،Tḥqyq Sāmy Ālslāmï ،Ālṭbʿï Ālṯānyï ،Dār Ṭybï.

Ābw Mwsy ،Mḥmd ،(1433h) ،Mn Āsrār Āltʿbyr Ālqrāny Drāsï Tḥlylyï Lswrï Ālāḥzāb ،Ālṭbʿï Ālṯānyï ، Mktbï Whbï.

Ābw Mwsy ،Mḥmd ،(1433h) ،Āl Ḥm Ġāfr- fṣlt drāsï Fy Āsrār Ālbyān ،Ālṭbʿï Ālṯānyï ،Mktbï Whbï.

Ālāzdy ،Mqātl Bn Slymān ،(1423h) ،Tfsyr Mqātl Bn Slymān ،Tḥqyq ʿbd Āllh Šḥāth ،Ālṭbʿï Ālāwly ، Byrwt ،Dār Āḥyāʾ Āltrāṯ.

Ālāndlsy ،Ābw Ḥyān Mḥmd Bn Ywsf ،Ālbḥr Ālmḥyṭ ،Byrwt ،Dār Ālfkr.

Ālāndlsy ،ʿbd Ālḥq Bn Ġālb Ābn ʿtyï (1422h) ،Ālmḥrr Ālwğyz Fy Tfsyr Ālktāb Ālʿzyz ،Tḥqyq ʿbd Ālslām ʿbd Ālšāfy ،Ālṭbʿï Ālāwly ،Byrwt ،Dār Ālktb Ālʿlmyï.

Ālbḫāry ،Mḥmd Bn āsmāʿyl ،(1422h) ،Ṣḥyḥ Ālbḫāry ،Ālṭbʿï Ālāwly ،Dār Ṭwq Ālnğāï.

Ālbṭlywsy ،ʿbd Āllh Bn Mḥmd ،(1996m) ،Ālāqtḍāb Fy Šrḥ Ādb Ālktāb ،Tḥqyq Mṣṭfy Ālsqā Wzmylh ، Ālqāhrï ،Dār Ālktb Ālmṣryï.

Ālbġwy ،Ālḥsyn Bn Msʿwd ،(1417h-) ،Mʿālm Āltnzyl Fy Tfsyr Ālqrān ،Tḥqyq Mḥmd Ālnmr Wṣāḥbyh ،Ālṭbʿï ālrābʿï ،Dār Ṭybï.

Ālbqāʿy ،Ābrāhym Bn ʿmr ،(1408h) ،Mṣāʿd Ālnẓr Llāšrāf ʿly Mqāṣd Ālswr ،Ālṭbʿï Ālāwly ،Mktbï Ālmʿārf.

Ālbqāʿy ،Ābrāhym Bn ʿmr ،Nẓm Āldrr Fy tnāsb Ālāyāt Wālswr ،Ḥydr Ābād ،Ālhnd.

Ālblḫy ،Mḥmd Bn Slymān ،Mqdmï Tfsyr Ābn Ālnqyb Fy ʿlm Ālbyān Wālmʿāny Wālbdyʿ Wāğāz Ālqrān ،Tḥqyq D. zkryā Sʿyd ʿly ،Ālqāhrï ،Mktbï Ālḫānğy.

Ālğāẓ ،ʿmrw Bn Bḥr ،Ālbyān Wāltbyn ،Tḥqyq ʿbd Ālslām Hārwn ،Byrwt ،Dār Ālğyl.

Ālğrğāny ،ʿbd Ālqāhr ،(1413h-) ،Dlāʾl Ālāğāz ،Qrāh Mḥmwd šākr ،Ālṭbʿï Ālṯālṯï ،Ālqāhrï ،Mṭbʿï Ālmdny.

Ālğwhry ،Āsmāʿyl Bn Ḥmād ،(1407h) ،Ālṣḥāḥ ،Tḥqyq Āḥmd ʿbdālġfwr ʿṬār ،Ālṭbʿï Ālrābʿï ،Byrwt ، Dār Ālʿlm Llmlāyyn.

Ālḥmyry ،ʿbd Ālmlk Bn Hšām ،(1375h) ،Ālsyrï Ālnbwyï ،Tḥqyq Mṣṭfy Ālsqā Wzmylyh ،Ālṭbʿï Ālṯānyï ،Mṣr ،Mṭbʿï Ālbāby Ālḥlby.

Drāz ،Mḥmd ʿbd Āllh ،(1404h) ،Mdḫl Āly Ālqrān Ālkrym ،Ālkwyt ،Dār Ālqlm.

Āldwsry ،Mnyrï Mḥmd ،(1426h) ،Āsmāʾ Swr Ālqrān Wfḍāʾlhā ،Ālṭbʿï Ālāwly ،Dār Ābn Ālğwzy.

Ālrāzy ،Ābw ʿbd Āllh Mḥmd Bn ʿmr ،Āltfsyr Ālkbyr ،Byrwt ،Dār Ālktb Ālʿlmyï.

Ālzrkšy ،Bdr Āldyn Mḥmd Bn ʿbd Āllh ،(1400h) ،Ālbrhān Fy ʿlwm Ālqrān ،Tḥqyq Mḥmd Ābw Ālfḍl Ābrāhym ،Ālṭbʿï Ālṯālṯï ،Byrwt ،Dār Ālfkr.

Ālzmḫšry ،Mḥmwd Bn ʿmr ،(1407h) ،Ālkšāf ʿn Ḥqāʾq Ġwāmḍ Āltnzyl ،Ālṭbʿï Ālṯālṯï ،Byrwt ،Dār Ālktāb Ālʿrby.

Ālsğstāny ،Ābw Dāwd Slymān Bn Ālāšʿṯ ،(1434h) ،Ālsnn ،Ḥqqh ʿṢām Mwsy hādy ،Ālṭbʿï Ālāwly ، Ālğbyl ،Dār Ālṣdyq.

Ālskāky ،Ywsf Bn Āby Bkr ،Mftāḥ Ālʿlwm ،Byrwt ،Mnšwrāt Ālmktbẗ Ālʿlmyẗ Ālġdydẗ.

Ālsywṭy ،ʿbd Ālrḥmn Bn Āby Bkr ،(1426h) ،Mrāṣd Ālmṭālʿ Fy tnāsb Ālmqāṭʿ Wālmṭālʿ ،Qrāh Wtmmh d. ʿbd Ālmḥsn Ālʿskr ،Ālṭbʿẗ Ālāwly ،Ālryāḍ ،Dār Ālmnhāğ.

Ālsywṭy ،ʿbd Ālrḥmn Bn Āby Bkr ،(1424h) ،Āldr Ālmnṯwr Fy Āltfsyr bālmāṯwr ،ṭḥqyq D. ʿbd Āllh Āltrky ،Ālṭbʿẗ Ālāwly ،Mrkz Hğr.

Ālšāṭby ،Ābrāhym Bn Mwsy ،(1417h-) ،Ālmwāfqāt ،Ṭḥqyq Mšhwr Āl slmān ،Ālṭbʿẗ Ālāwly ،Dār Ābn ʿfān.

Ālṭbry ،Mḥmd Bn ğryr ،(1422h-) ،Ğāmʿ Ālbyān ʿn Tāwyl Āy Ālqrān ،Ālṭbry ،Ālṭbʿẗ Ālāwly ،Dār Hğr.

Ālṭyby ،Ālḥsyn Bn ʿbd Āllh ،(1434h-) ،Ftwḥ Ālġyb Fy Ālkšf ʿn Qnāʿ Ālryb (ḥāšyẗ Ālṭyby ʿly Ālkšāf) ، Ālṭbʿẗ Ālāwly ،Mn Mṭbwʿāt ğāʾzẗ Dby Āldwlyẗ Llqrān Ālkrym.

Ālʿlwy ،yḥyy Bn ḥmzẗ ،Ālṭrāz lāsrār Ālblāġẗ Wʿlwm ḥqāʾq Ālāğāz ،Byrwt ،Ālmktbẗ Ālʿṣryẗ.

Ālʿmādy ،Ābw Ālsʿwd Mḥmd Bn Mḥmd ،(1414h-) ،Āršād Ālʿql Ālslym Āly Mzāyā Ālqrān Ālkrym ، Ālṭbʿẗ Ālrābʿẗ ،Byrwt ،Dār Āḥyāʾ Āltrāṯ Ālʿrby.

Ālġrnāṭy ،Ābn Ālzbyr ،(1428h) ،Mlāk Āltāwyl Ālqāṭʿ Bḏwy Ālālḥād Wāltʿṭyl Fy Twğyh Ālmtšābh Āllfẓ Mn Āy Āltnzyl ،Ṭḥqyq sʿyd Ālflāḥ ،Ālṭbʿẗ Ālṯānyẗ ،Dār Ālġrb Ālāslāmy.

Ālfrāhy ،ʿbd Ālḥmyd ،(1388h) ،Dlāʾl Ālnẓām ،Ālṭbʿẗ Ālāwly ،Ālmṭbʿẗ Ālḥmydyẗ.

Ālqāḍy Ālğrğāny ،ʿly Bn ʿbd Ālʿzyz ،Ālwsāṭẗ Byn Ālmtnby Wḫṣwmh ،Ṭḥqyq Mḥmd Ābw Ālfḍl Ābrāhym Wzmylh ،Mṣr ،Mṭbʿẗ Ālbāby Ālḥlby.

Ālqrṭāğny ،Ḥāzm Bn Mḥmd ،(1986m) ،Mnhāğ Ālblġāʾ Wsrāğ Ālādbāʾ ،Ṭḥqyq Mḥmd Ālḥbyb Ābn Ālḫwğẗ ،Ālṭbʿẗ Ālṯālṯẗ ،Dār Ālġrb Ālāslāmy.

Ālqzwyny ،Ālsbky ،Āltftāzāny ،Ābn Yʿqwb ،(1317h) ،Āltlḫyṣ Wšrwḥh ،Ālṭbʿẗ Ālāwly ،Mṣr ،Mṭbʿẗ Bwlāq.

Ālqzwyny ،Mḥmd Bn ʿbd Ālrḥmn ،Ālāyḍāḥ Fy ʿlwm Ālblāġẗ ،Mṣr ،Mṭbʿẗ Ālsnẗ Ālmḥmdyẗ.

Ālqyrwāny ،Ālḥsn Bn ršyq ،(1401h) ،Ālʿmdẗ Fy Mḥāsn Ālšʿr Wādābh ،Ṭḥqyq Mḥyy Āldyn ʿbd Ālḥmyd ،Ālṭbʿẗ Ālḫāmsẗ ،Dār Ālğyl.

Ālqysy ،ʿwd Āllh ،(1416h) ،sr Ālāğāz Fy Tnwʿ Ālṣyġ Ālmštqẗ Mn Āṣl lġwy Wāḥd Fy Ālqrān ،Ālṭbʿẗ Ālāwly ،Ālārdn ،Dār Ālbšyr.

Mrkz Āldrāsāt Wālmʿlwmāt Ālqrānyẗ Bmʿhd Ālāmām Ālšāṭby ،(1439h) ،Mwswʿẗ Āltfsyr bālmāṯwr ، Ālṭbʿẗ Ālāwly ، ،Dār Ābn Ḥzm.

Ālmṣry ،ʿbd Ālʿẓym Ābn Āby Ālāṣbʿ ،(1383h-) ،Ṭḥryr Ālṭḥbyr ،Ṭḥqyq Āldktwr Ḥfny Mḥmd šrf ،Mṣr ، Ālmğls Ālāly Llšʾwn Ālāslāmyẗ.

Ālmṭʿny ،ʿbd Ālʿẓym ،(1432h) ،Āltfsyr Ālblāġy Llāstfhām Fy Ālqrān Ālkrym ،Ālṭbʿẗ Ālṯālṯẗ ،Mṣr ، Mktbẗ Whbẗ.

Ālnysābwry ،Mslm Bn Ālḥğāğ ،Ṣḥyḥ Mslm ،Ṭḥqyq Mḥmd fʾād ʿbd Ālbāqy ،Byrwt ،Dār Āḥyāʾ Āltrāṯ Ālʿrby.

The Beauty of Peroration in Surat Alšuarà

Yasir Hamed Almutairi

Assistant Professor of Rhetoric and Criticism, Department of Arabic Language, Faculty of Education Prince Sattam bin Abdulaziz University, KSA

yh1131@hotmail.com

Abstract. Beauty Peroration is one of the embellishments that rhetoricians urge speakers/writers to consider as a highly functional device that eventually strikes a listener's/reader's ear. However, going into detail as to how peroration should be in order to be beautiful, and what possible relationship to its precedents have been underexplained by rhetoricians with notably some succinctness in their explanations. Hence, it can be argued that there is a need for a study that extracts the most prominent features that an eloquent person may well follow to draw at the Peroration when speaking/writing. Having said that, the best course of action is to investigate the presence of Peroration in the most eloquent piece of work, which is the Holy Quran, focusing on Surat Alšuarà which arguably represents a thematic unit with a beginning and an end, which is what this researcher seeks to address in this article.

*Keywords***:** Beauty, Peroration, Artifice, Alšuarà.